



خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل

59. فضل مَنْ كَمُلَ إيمانهم وحسنت نواياهم

6 ذو القعدة 1380هـ الموافق 21 أفريل 1961م

الحمد لله الّذي جعل كلّ خير من وراء هذه الأحداث؛ لتزول بذلك كلّ عوامل الشّكّ والالتباس؛ ليكون نظام هذا الكون مبنيًّا على أسس من الدّعائم، وحتّى يكون روح الدّين في نفوس النّاس قائم، وأشهد أن لا إله إلّا الله، جعل من بدائع خلقه تفاوتًا بيّنًا في كلّ هذه الموجودات؛ لتظهر في ذلك آياته الباهرات، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله الّذي جعله الله خاتم النّبيّين، وإمام المهتدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه التّابعين.

أمّا بعد: فإنّ كلّ من يمعن النّظر في شؤون هذه الخلائق، واختلاف أنواعهم وطبقاتهم، يرى من الحِكَم الظّاهرة، والدّلائل الباهرة على حسن الإيجاد والإتقان ما يحيّر في ذلك أولي البصائر والألباب؛ ولذلك نرى العظمة الإلهيّة تتجلّى من بين هذه التّطوّرات وسير الأحداث المتوالية.

ولولا هذا التّفاوت لما وجد للفكر الإنسانيّ نهوض أو تقدّم نحو الرّقيّ الدّينيّ أو المدنيّ، ولَمَا تكوّنت روح اليقظة في نفوس الأمم وأفرادها، بل ستبقى أفراد البشريّة راكدة جامدة لا حراك بها، بل ولا مقوّمات تقودها إلى مراقي الحياة والفوز والنّجاح.

ولكنّنا نرى دائمًا أنّ هذا النّوع الإنسانيّ تنصبّ عليه بلايا ومحن، يقاسي من آلامها وويلاتها سنين متطاولة، وعصورًا مظلمة، نشاهده بعد ذلك قد استكمل كلّ أسباب المقاومة والتّدرّب على هذه المشاهد الّتي أهّلته لحمل الرّسالة الإنسانيّة؛ ليقوم بدوره الدّينيّ والحيويّ، فيرمي بهذه الأغلال والقيود الّتي أثقلت كاهله إلى جانب، ويخوض بعد ذلك المعارك الّتي ينزلها ضربة قاسية على خصومه وأنذاله، فتصيبهم في الصّميم، حتّى تقوّض أركانهم، وتهدم كيانهم.

ولكن في وسط هذه الأحداث الدّائرة رحاها لا يمكن لكلّ النّفوس أن تقف موقف التّجلّد والصّلابة إلّا ممّن كمل إيمانهم، وحسنت نواياهم وإخلاصهم. {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} [الرعد: 17]

هكذا شاءت حكمة الله في عباده؛ ليظهر الصّالح من الطّالح، وتنكشف تلك الحُجُب والأستار عن العقول والأعين، ليرى النّاس ذلك بأبصارهم، ويدركوه بعقولهم، فيفهموا سرّ الحياة، وما أودع الله في خلقه من آيات وعجائب. كما قال الله -جلّ شأنه-: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 54]